مجلة الدراسات التاريخية

E-ISSN : 2588-2090
ISSN : 1111-3707

مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 579-599

ابن أبي زرع الفاسي ومنهجه في كتابه الذخيرة السنية

Ibn Abi Zara al-Fassi and his methodology in his Book (Al Thakhira Al Sunnia)

خامد عائشة [1]

جامعة عمار ثليجي بالاغواط ، a.khamed@lagh-univ.com

تاريخ الارسال: 2024/01/19 تاريخ القبول: 2024/07/29 تاريخ النشر: 2024/12/29

Abstract

Historical writing is a means of perpetuating fanaticism and the orientations of the existing countries, especially in the Islamic Maghreb, as the historical thought serves the ideologies of the states and ruling families, so the historical literature was directed for this purpose, and some historians did not even see embarrassment in recognizing this, including the historian Ibn Abi Zara al-Fassi, who says directly that his author is the Sunni ammunition in the history of the Marinid state, in which he chronicles the victories of the Marinid state and its glories, expressing his fanaticism towards it, adopting writing methods that would serve this purpose, despite This method, which is far from the historical scientific methods, but Ibn Abi planted for us a historical heritage of the Marinid state and accurate information that contributes to preserving the historical memory of the Marinid state, including the history of the Islamic Maghreb, and because he was close to his sources of information, his author is a reference for everyone who researches the history of the Marinid state, as he carries unique information about other sources, but he did not

write down all the events and information about the state, but selected from them what It contributes to pride and boasting about it, silent about everything that is below that..

المؤلف المرسل: خامد عائشة
a.khamed@lagh-univ.com

Keywords: Ibn Abi al-Zara al-Fassi, Sunni ammunition, historical writing, Islamic Maghreb, historical thought.

الملخص:

تعد الكتابة التاريخية وسيلة تكرس التعصب وتوجهات الدول القائمة خاصة في بلاد المغرب الاسلامي، اذ كان الفكر التاريخي يخدم ايديولوجيات الدول والأسر الحاكمة فكانت المؤلفات التاريخية موجهة لهذا الغرض، بل ولم ير بعض المؤرخين حرجا في الاعتراف بهذا ، ومنهم المؤرخ ابن أبي زرع الفاسي الذي يقول مباشرة أن مؤلفه الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية يؤرخ فيه لانتصارات الدولة المرينية وأمجادها مبديا تعصبه لها، منتهجا أساليب كتابة من شأنها أن تخدم هذا الغرض، ورغم هذا الأسلوب الذي هو بعيد عن المناهج العلمية التاريخية إلا أن ابن أبي زرع حفظ لنا تراثا تاريخيا للدولة المرينية ومعلومات دقيقة تساهم في الحفاظ على الذاكرة التاريخية للدولة المرينية ومنها على تاريخ المغرب الإسلامي ، ولأنه كان قريبا من مصادر معلوماته يعد مؤلفه مرجعية لكل من يبحث في تاريخ الدولة المرينية اذ يحمل معلومات تفرّد بها عن غيرة من المصادر و الا انه لم يدون كل الاحداث والمعلومات عن الدولة بل انتقى منها ما يساهم في الاعنزاز والتفاخر بها ساكتاعن كل ماهو دون ذلك.

الكلمات المفتاحية: ابن ابي الزرع الفاسي؛ الذخيرة السنية؛ الكتابة التاريخية؛ المغرب الإسلامي؛ الفكر التاريخي.

1. مقدمة:

تكرست العصبية المذهبية ببلاد المغرب الإسلامي بتعاقب الدول، وكل دولة تطمح لتثبيت قواعدها والتطلّع برؤى سياسية نحو ذلك، مما أثّرعلى الفكر التاريخي في بلاد المغرب الاسلامي فكثرت الكتابة التاريخية في تاريخ السلالات كمنهج يكرس فكرة التأريخ للأسر الحاكمة ، وقد تتبّع تاريخ السلالات التاريخ الدول حسب سنوات و حسب وقوع الأحداث، أو مقسمة على عهود الحكّام كل حاكم وما جرى في زمنه،وفي حوليات السير عندما ينتهي من حاكم ينتقل للآخر دون انقطاع تتبع السنين فدائما يأخذ الحول مكانه في ترتيب الأحداث، مناهج أرخ بها مؤرخون ممن يسعون لإبراز الدول ورجالاتها وكان المؤرخ ابن أبي الزرع الفاسي ممن كتب في تاريخ السلالة المرينية خدمة للدولة المرينية في مؤلفه الذخيرة السنية في محاسن الدولة المرينية ساهم من خلاله في الحفاظ على التراث المريني

1.أبو حسن علي بن أبي زرع الفاسي (ت بعد سنة 741هـ/1341م)

مثّل العهد المريني مرحلة مهمة في تاريخ بلاد المغرب اللإسلامي وزاد مؤرّخوه رصيد الكتابات التاريخية المغربية، فعُرف هذا العهد بنبوغ مؤرّخين معروفين، كان ابن أبي زرع وليد هذة الدولة وهذا العصر فلابد من أن يتأثّربها ويستفيد منها، وقد ساهم هذا المؤلّف في إثراء تاريخ بلاده ودولته مهما كان توجهه، كَتب في

تاريخ السلالات للدولة المرينية على طريقة المنهج الحولي متتبعا أحداثها سنة فسنة.

2.التعريف بالمؤلِف

1.2مولده ونشأته

لم تتداول المصادر والمراجع ترجمة ابن أبي زرع ، ولم تتناول الحديث عنه ولاعن حياته، وما يوجد بخصوصه ينحصر فقط في إسمه، أوقليل من المعلومات عن كتابه، وكذلك اسمه اختُلفت فيه، فسُمي علي بن عبد الله بن أبي زرع وكُني بأبي الحسن[1]. سميّ بهذا الإسم أيضا لكنه كنيّ بأبي عبد الله[2]، كما نجد له إسما أطول فسمي بعلي بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي زرع[3]،كذلك وُجد له إسم مغاير نوعا ما وهو؛ أبو العباس أحمد بن أبي زرع، ما سماه به مصطفى أبو ضيف ولابد أنه وَجَده في إحدى المصادر[4]، وهوما يوجد مذكورا عند صاحب بيوتات فاس الكبرى إسماعيل ابن الأحمر[5]، وأخذا عن ابن أبي زرع سماه أحمد بن القاضي في كتابه" لقط الفرائد من حقق الفوائد" بأبي عبد الله محمد، كماجاء في مقدمة تحقيق روض القرطاس[6]، هذا بالنسبة إلى اسمه، أما عن حياته، فلا تُعرف عنها شيء، سوى أنه من أسرة عريقة في فاس[7]، ويذكر تاريخ وفاته أنه كان سنة **(741هـ/1341م)**[8] ، ويُذكر أنّ لقب ابن أبي زرع نسبةً لأسرة من فاس وقيل أصلها من غرناطة ومن حمل هذا اللقب هم مؤلّف الكتاب وأخويه، محمد وهو محدث ومقرئ كان عدلا بسماط القرويين وتولى الخطابة في جامع فاس عاش إلى دولة يوسف المريني (685- 706هـ)، والآخر أحمد؛ اشتغل بتلاوة القرآن بجامع القرويين، واشتغل إماما أواخر سنة(683هـ)، وعلي صاحب الكتاب[9]،والذي عاش مقربا للسلطة.

2.2علمه وعمله

بالنسبة لعلمه، لابد أنه كان على سعة واسعة من العلم، لما أتى به في مؤلَّفيه، خاصة روض القرطاس، وتكلُّمه على عدّة دول قامت ببلاد المغرب، بدايةً من الأداراسة وبدايةِ ظهورهم، وزناتة ودولتهم، ودولة المرابطين، فالموحدين إلى دولة المرينيين[10]، وهذه دول لم يعاصرها، سوى الدولة المرينية في فترةٍ منها، فلابد أنه بحث وتقصّى وتتبّع دروب العلم ومكامن الخبر، ليجمع معلوماته.

إضافة إلى هذا، ما وصفه به بعض الكتّاب ، ونعته بالشيخ الكبير، الإمام الخطيب، البليغ الواعظ[11]، فهذا الوصف لا يأتي من فراغ، لابد أنه استحق ذلك، ولابد أنه شوهد عليه ذلك .

أما عن عمله، فإضافة لكونه مؤرّخا، يُذكر أنه تولّى الإمامة بجامع القرويين بفاس[12] ، وهذه إشارة أخرى لثقافته وعلمه، كما يذكر أنه كان كاتبا، لدى السلطان أبي سعيد عثمان المريني، وأنه ألّف له كتاب القرطاس[13] .

3.2عصره

تتّفق المصادر والمراجع التي تتكلم عن ابن أبي زرع، أنه عاصر وعايش السلطان المريني أبي سعيد عثمان المريني، بل وكان مقربا منه[14]، واعتلى وإخوته مناصب في الدولة كما ذكرنا، فولاؤه لها متجذر في أسرته، إذ كانت صاحبة فضلٍ عليهم ولابد بردِّ جميلها ونصرتها مهما كانت ظالمة أو مظلومة.

كما أنه عاصر مؤرخين كبار ومعروفين، ومقربين من محيطه ، أمثال: ابن عذارى المراكشي، وعبد الرحمان بن خلدون، وابن الخطيب، ابن مرزوق التلمساني وغيرهم، مما يدل على أنّ عصره، اهتم بالتاريخ وعصرٌ نبغ فيه المؤرخون.

إضافة إلى اهتمام الدولة المرينية بالتعليم والعلم، إذ كان حكامها يتدخّلون، في تسيير المنظومة التعليمية بالمدارس، وتوجيهها، مع توجهاتهم السياسية، ويختارون الأستاذ ويراقبون طرق التدريس، ويُحدّدون المواد المدروسة، فأصبح التعليم رسميا يخضع لإشراف الدولة ومراقبتها[15]، كل هذا لابد أنّ له تأثير على الوسط التعليمي والمستوى الثقافي آنذاك.

أما إذا تكلمنا عن عصر السلطان أبي سعيد عثمان بن عبد الحق الذي عايشه مؤرخنا، فإن الأوضاع في عهده كانت كالتالي:

كان اشتداد الفتن بين قبائل العرب وانتشار الخوف، وعدم الأمان وانقطاع الحرث وعمّ الغلاء، لكن مع ظهور هذا السلطان المريني أبي سعيد فإنه استغلّ هذه الأوضاع ليجمع الناس من حوله، ويصلح لهم وبهم الحال[16]، إذْ استحكم السلطان أبا سعيد قبضته على نواحي المغرب وقبائلها حتى دخل أكثرهم في إمرته، فكان عهده عهد قوة وسيطرة بالنسبة لدولته المرينية، ومنها عصر الكاتب[17]، كما يُذكر على هذا السلطان أنه عضد شديد، كريم، حافظ للجار، ومعظِّم للفقهاء، مكرمٌ للصلحاء[18].

وفيما يخص أمر العلم، يتبين من خلال اهتمام الكاتب، ابن أبي زرع، الذي عايش ذلك العصر اهتمامه بالعلماء، وترجمته لهم من خلال وفياتهم، لدليل على مكانة العلم والعلماء في وقته و على وجود فحول من العلماء عصره، ومنه المدارس وكثرتها في فاس، مما سينعكس حتما على المستوى الثقافي، ومما يفسر

عدد مؤرخي ذلك العصر[19]، فلا طالما كانت مدينة فاس حاضرة من حواضر بلاد المغرب عامةً، امتازت عن بقية الحواضر بكثرة ما كُتب حولها، اشتهرت بإنجاب علماء ومؤرخين نحتوا أسماءهم، ومن بينهم مؤرخنا ابن أبي زرع[20].

3.التعريف بمؤلف الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية

1.3تحقيقاته

عقد الأستاذ محمد التطواني مقارنة بين كتاب الذخيرة السنية، وكتاب روض القرطاس

واستخلص أنهما لكاتب واحد وهو ابن أبي زرع[21]، وقد وافقه في ذلك بعض الباحثين كعبد الله كنون[22]، والزركلي في أعلامه[23].

والمؤرخ رنيه باسيه، الذي ينسب كتاب الذخيرة لابن أبي زرع على أساس أن ابن أبي زرع وصالح بن عبد الحليم شخص واحد[24]، في حين ينسب آخرون الكتابين لهذين المؤرخين كلٌّ على حِدا، كالاستاذ محمد بن أبي بكر التطواني، مبرّرا ذلك بأن مؤرخي ذلك العصر، من عادتهم أن ينقل أحدهم كلام غيره دون أن ينسبه إليه[25].

أعطى محمد التطواني أمثلة لنصوص من الكتابين، ويرى أنهما يشتركان في بعض المصادر أيضا وأسلوبهما متشابه، لكن كتاب الذخيرة يضيف على القرطاس بعض الزيادات والمعارف التاريخية[26] .

كتاب روض القرطاس نجده ينتهج طريقة الموضوعات في الدول التي يؤرخ لها، ما عدا الدولة المرينية، فإنه يؤرخ لها حسب السنين، كما انتهجها كتاب الذخيرة

الذي يؤرخ للدولة المرينية فقط، ونأخذ مثالا عن دولة الأمير يعقوب بن عبد الحق، فإننا نجد في الكتابين، نفس المعلومات حرفيا بل بنفس العنونة ونفس الترتيب، إذ يبدأ بالتعريف بالأمير ويتكلم عن صفاته، ثم قضاته ووزرائه، كتابه ثم الخبر عن سيره ومآثرة، كما يحمل الكتابين نفس النصوص الأدبية، إذ يستشهد كلٌّ منهما بأرجوزة لعبد العزيز الملزوزي بعنوان "سيّرِه الجليلة"[27].

نُشر كتاب الذخيرة لأول مرة من طرف الباحث محمد بن أبي شنب، بالجزائر سنة **1920**م من غير تقديم، ولاتعليق، كما جاء في مقدمة دار المنصور[28].

ثم أعادت نشر الكتاب دار المنصور للطباعة والوراقة بتحرير ومقارنةٍ لنصوص القرطاس، وكتب أخرى معاصرة لهما، ورأت أن كتاب الذخيرة هو للمؤلف ابن أبي زرع الفاسي، حيث جاء في واجهة الكتاب إسمه كمؤلفٍ لهذا الكتاب ، ومن الإطلاع السطحي للكتابين يمكن أن تلحظ التشابه الكبير بينهما من حيث المعلومات وحتى المنهج وطريقة التنظيم، كما اعتنت دار المنصور بترتيب وقائعه زمنيا، وزادت بعض التنقيحات وحذفت الكنى وأحلّت مكانها أسماء، كما تقدمت به في مقدمة الكتاب[29]، معتمدةً على نسختين الأولى مطبوعة، نشرها الدكتور محمد بن أبي شنب، والأخرى خطية يُقال أنها كانت في خزانة الأستاذ المرحوم حسن حسني عبد الوهاب، ثم انتقلت بعد وفاته للمكتبة القومية التونسية، وحفظت تحت عدد **18.280**، مغربية الخط عدد أوراقها **68**، من حجم**27-20**، وفي كل صفحة 25 سطرا تقريبا[30]،نشرته دار المنصور بالرباط المغربية سنة **1972**[31].

2.3مضمونه:

يبدأ ابن أبي زرع كتابة بالدعاء بالنصر، والتأييد للدولة السعيدة العثمانية، ذلك نسبة لعثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، المكنى بأبي سعيد، ويدعو لملكها المذكور بالتمجيد ، مستعملا ألفاظ المدح والاجلال، بل ويعترف بأنه ألّف كتابه خدمة لها، وتقرّبا منها، وتخليدا لمحاسنها ،ومآثرها[32]، وقد ذكر تقسيمات الكتاب في تقديمه فيقول:"الباب الأول : في ذكر بني مرين، وقبائلهم، ونسبهم الصريح، العالي الصحيح ودخولهم المغرب وظهور ملكهم .

الباب الثاني: في ذكر الأمير الصالح أبي الأملاك أبي محمد عبد الحق بن محيو، وسيَّر أولاده وفضله. الباب الثالث: في ذكر الأمير أبي سعيد عثمان بن عبد الحق .

الباب الرابع: في ذكر الأمير أبي معرف محمد بن عبد الحق.

الباب الخامس: في ذكر دولة الأمير الأجل أبي يحيي بن عبد الحق.

الباب السادس: في خلافة أمير المسلمين، وناصر الدين الملك القائم بالحق يعقوب بن عبد الحق.

الباب السابع: في خلافة أمير المسلمين يوسف بن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق.

الباب الثامن: في الخلافة أمير المسلمين عامر بن الأمير عبد الله بن أمير المسلمين يوسف بن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق.

الباب التاسع: في الخلافة أمير المسلمين سليمان بن الأمير عبد الله المذكور بن أمير المسلمين يوسف.

الباب العاشر: في الخلافة ملك الزمان وسراج الأوان الإمام العادل السعيد الخليفة العادل الرشيد، أمير المسلمين، أبي سعيد عثمان بن مولانا أمير المسلمين المنصور القائم بالحق، يعقوب بن عبد الحق، أطال الله أيامه، وخلد ملكه ونصرأعلامه، وأمضا في الاعادي سيوفه، وأقلامه، بمنه وطوله". ويذكر صاحب الكتاب: "سميته الذخيرة في تاريخ الدولة المرينية العبد الحقية"[33].

يتكلم المؤلف عن بني مرين، ونسبهم وصلتهم ببربر زناته، بل يعود إلى فروع البربر وتجذرهم، وأصولهم العربية، وصلتهم بالرسول صلى الله عليه وسلم، ليحاول ربط نسب بنى مرين بالنّسب الشّريف وهي سِمة المؤرخين المتملقين المتمذهبين بمذهب الدولة التي يؤرخون لها، فالكل يسعى لإثبات شرعية الدولة ونسبها الشريف وتجذّرها في الحكم[34] ولذلك نجده يوظّف الكثير من الأشعار، أغلبها في المدح و الفخر ببني مرين، وأخرى لأبي فارس عبد العزيز الملزوزي، من أرجوزة "نظم السلوك في ذكر الانبياء و الخلفاء والملوك " يتكلم فيها عن أن زناتة جاوروا البربر وتأثروا بكلامهم، فأصبحوا يتكلمونه، وأن أصولهم عربية، ويذكر أبياتاً أخرى عن دخول بني مرين صحراء المغرب[35].

ثم يتكلم عن فروع بني مرين من القبائل الموالية لها، وكيف دخلت كل منها تحت ولاء المرنيين، ليرجع بالتاريخ للدولة المرينية، وكيف آل الملك إليهم، ومن تولاها في بادئ الأمر و دخولهم بلاد المغرب، وتصادمهم مع الموحدين، ويصف ضعف ملوك الموحدين[36].

يدخل الباب الثاني بذكر عنوانه قبل الاسترسال في الأحداث، بل ويأتي بترجمة للأمير وأشياء عن حياته وسيرته، وما يتعلق به، ليدخل في أحداث زمانه، لكنه يورد بعض الكرمات عن الأمير، وعند حديثه عن السلطان أبي سعيد عثمان بن عبد الحق، وبعد التعريف به، فإنه يكمِّل الحديث عن الصراع المريني الموحدي وكيف آل الحكم إليهم وبعد انتقال الحكم لابن عثمان، ومبايعة الناس له بعد مقتل أبيه وأخيه الأكبر، يبدأ المؤلف بحولياته[37].

يشير إلى الانعكسات الاقتصادية والاجتماعية، بسبب سوء الوضع السياسي كانقطاع الرزق، وغلاء الأسعار ،وانتشار الفساد، واللهو بسبب ضعف الحكام الموحدين، والتناحر القائم بين القبائل[38].

يرجع للحديث عن السلطان عثمان بن عبد الحق، ويذكر أهم أعماله للفتح والتوسع في كل سنة ثم يُعنوِن بالخبر عن سيرته وأحواله، دلالة على إجلاله له بتوطئةٍ مسجوعةٍ يمدحه ويجلله فيها، كما يتكلم داخل حولياته عن بعض الأخبار و الأحداث ببلاد المغرب غير المتعلقة بالمرنيين، و غير مستغنٍ عن النصوص الأدبية الشعرية، فيذكر بعض الأخبار عن الفتح الإسلامي، والعمران وأخبار عن كسوف الشمس، وظهور أوبئة وكوارث طبيعية، كوباء سنة (610هـ/1213م)، ويتكلم عن أحداث خارج بلاد المغرب، فيما تعلّق بأخبار بلاد الشام، وقلاقل مصر، وأحداثٍ متفرقةٍ، رأى من الواجب ذكرها كتخريب صور بيت القدس، وأحداثٍ عن مصر[39].

إضافة لاهتمامه بالترجمة، فيذكر ولادة أعيان و أمراء، ويذكر من توفي كل سنة من علماء، وفقهاء وأعيان، ويترجم لهم من خلال تاريخ وفاتهم، وفيها معلومات غنية قد لا تكون متوفرة في كثير من المظان، كما نلمس له بعض الكرمات، مثل حديثه عن حريق شبَّ بسوق فاس، وناد الشيخ صالح عبد الله القشالي بتوقّفُها، ففعلت باذن الله[40].

ويستمر في ايراد أخبارٍ عامةٍ، ومتنوعةٍ عن بلاد المغرب والأندلس ومصر، كالمجاعة والقحط، والجراد، وبناء أبراج، وبناءات أخرى، وفي هذا الجزء، وكأنه يمثل تاريخا عاما[41]

ثم يقفز من سنة **620**هـ إلى سنة **637**هـ، فيذكر في باب آخر للأمير أبي معرف محمد بن عبد الحق، يعرف به ويتتبع حولياته من سنة **638**هـ،و يستمر في تتبع أخبار المرنيين، في كل حول، ويُتمّم ما جرى في السنة التي تليها، إضافة لتكتُّمه عن الصراعات داخل بلاد المغرب ويصف العلاقة التي كانت بين هذه الدول القائمة ببلاد المغرب آنذاك، وصوَّر الصراع المريني مع القوى المتواجدة في بلاد المغرب خاصة الموحدين والزيانيين، وتكلم أيضا على بلاد الأندلس وسقوط مدنها، وصراع المسلمين مع النصارى بها[42].

بل ويتكلم عن صراعات داخل الدولة المرينية نفسها، كالذي بين عمر وعمة الأمير يعقوب، بعد وفاة أخيه أبي بكر، وكذلك غدر أبو دبوس قائد الأمير يعقوب به، وصارت بينهما حروب بعدما فتح مراكش .

3.3منهجه:

كتاب الذخيرة السنية، يذكره الأستاذ محمد التطواني، على أنه من مصادر الأدب وأنه استفاد منه عند حديثه عن الأديب مالك بن مرحل، وربما لأن

الكتاب ملئٌ بالشعر و النصوص الأدبية، حتى عُدّ من كتب الأدب ،كما أنه من كتب التاريخ، فكثرة النصوص الأدبية فيه تجعله يتقاسم مع النصوص التاريخية صفتها[43]،يبدأ المؤلف كتابه بالدعاء المريني وتمجيد ملوكها، ليُدلّل على نصرته لها، وتحيزه الواضح، كما يبدأ أول باب له في نسب بني مرين كلامٌ مسجوعٌ، وأبياتٌ شعريةٌ، فجاء كتابه ملئ بالنصوص الأدبية[44].

رغم التحيز الواضح ومنذ التقديم للدولة المرينية، وملوكها ،فإن المؤلف لايخبئ عنف ملوك بني مرين وقسوتهم أمام من يعارضهم، بحيث لايترددون في نهبه، وقتله، والقضاء عليه فمثلا يذكر: " ...من حاد عن طاعته ونابذه، أباده نهبا وقتلا وغادره صريعا... "[45]. فتأتـــي إعترافاته بين الحقيقة التاريخية وبين تعصبه لدولته.

لم يقتصر حديثه عن أخبار بني مرين فقط، رغم عنونة الكتاب لأجل ذلك، بل تكلم عن أحداثٍ عامةٍ ببلاد المغرب،كالصراع الحفصي الزياني، وأحداثٍ سياسيةٍ في الأندلس ومصر، والعراق[46].

اهتم بذكر وفيات وترجمات، ولم يقتصر على أعيان مرنيين فقط وبالتالي فهو يتقاطع كثيرا مع مواصفات التاريخ العام، ومنه فإن الكتاب في نظرته الأولى يتحدث عن بني مرين وملوكهم، لكن عند تصفحه فهو يحمل الكثير من الأخبار العامة،كما يحمل الكثير من الأخبار غير السياسية أيضا .

وإذا كان الخبر مُهمًّا عنونه بقوله:" الخبر عن كذا ..."، " كالخبر عن حركة أبي بكر لقيال"، و"الخبر عن بناء المدينة البيضاء دار المملكة"، ا"لخبر عن خروج أمير المسلمين يعقوب من حضره فاس إلى حضره مراكش لغزو أبي دبوس"[47].

حمّل كتابه رسائل أصلية، مثل نص كتاب الحاكم ابن الأحمر يطلب الإعانة فيه من الأمير المريني يعقوب[48].

ونص الفقيه، أبو القاسم العزفي إلى صلحاء المغرب يشرح لهم الغزوة التي خاضها الأمير يعقوب ضد النصارى في بلاد الاندلس[49]، وقصيدة الأمير سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن علي، يمدح فيها ابن عمه الأمير يعقوب المنصور كما يذكر المحقق، لكن الكاتب يوردها أنها من ابن شقلولة، ولعله تمثل بها، كما يذكر المحقق[50].

واستعمل المؤرخ في تتبعه لحوليات الأحداث لفظ " ثم دخلت سنة كذا" أو " وفي سنة كذا..."، يبدأ المؤلف هذه اللفظ بسنة خمس عشرة وستمائة، بتصويره الصراع الموحدي المريني في عهد الأمير عثمان بن عبد الحق

خلال تتبعه للحوليات فإنه حمّل كتابه ترجمات للأعلام ومعلومات مهمة حولهم، وهنا يزاوج بين طريقة الحوليات في تتبع الأحداث، وطريقة التراجم، بالترجمة لشخصية بعد الأخرى حسب سنة وفاتها[51].

كان المؤرخ دقيقا في ذكر سنوات وقوع بعض الأحداث، فإنه يذكر اليوم والشهر والسنة، فعلى سبيل المثال : مدة حكم الملك النصاري لمدينة شريش الأندلسية فيقول " ثلاث سنوات تنقص منها اثنان وعشرون يوما "، وعن مقتل عمر ابن أخ الأمير يعقوب يذكر "أول محرم سنة (**658**هـ/1259م)"، نزول ملك

الروم مدينة تونس "يوم الأربعاء بعد صلاة العصر وليلة الخميس 25 ذي القعدة سنة(668هـ/1270م)"[52].

يذكر الكاتب أحيانا الخبر مجملا، ثم يرجع لتفريقه بين السنوات مثل حديثه عن الحاجة أم اليمن أم الأمير عثمان، وعند الحديث عن فتح سجلماسة[53]، مُتخطيًا سلبية هذا المنهج في تقطيع الخبر.

بدأ حولياته من سنة 615هـ في عهد الحاكم عثمان بن عبد الحق، لكن أوّل إشارة لتاريخ معين هي سنة 614هـ سنة مقتل الأمير عبد الحق في جمادى الآخر[54]. وصولا إلى آخر سنة يشير إليها الكاتب هي سنة 679هـ[55].

فتتبع ابن أبي زرع أخبار المرنيين على مدار ستة عقود وأكثر، ورغم أنه عاش إلى سنة 741هـ، فقد سكت على أحداث مُدتها ستين عاماً عايشها وحرمنا من تقييدها، وتوقف كما توقف غيره من المؤرخين فلا يؤرخون إلا للمراحل الأولى لعمر الدولة، يعدّدون انتصاراتها ولا يأتون بفترات ضعفها بكلمة، من هنا يمكننا أن نحكم عليهم بأنّهم لا يعنون بغرضهم التدوين التاريخي الحقيقي وإنما التفاخر والاعتزاز بقوة دولتهم غير ملتفتين لباقي مراحلها .

4.3مصادره:

اعتمد صاحب الذخيرة كباقي المؤرخين، مصادر متنوعة الشفوية منها والمكتوبة، وما نعرفه عن مصادر ذخيرته، هو ما ورد فيها، أما ما سكت عنه أو لم يورده فلا عِلم لنا به، لأننا لم نجد دراسات عن ذلك.

استعمل المؤلف الكثير من الشِعر والأراجيز، و أهم من أخذ عنهم هذا: الأديب مالك بن مرحل، وذلك في عدة مواقع، عند مدح يوسف بن يعقوب، وقصيدة أخرى يحرِّض فيها بني مرين، وكل المسلمين لجهاد الكافرين في الأندلس، وأخرى يهنئ فيها الأمير أبي مالك بن يعقوب بفتح مراكش[56].

أخذ الشعر أيضا عن الأديب و الفقيه: أبي محمد صالح بن شريف الرندي، يرثي فيها الأندلس، ويستنصر بني مرين و غيرهم، وهذه القصائد تحمل مقاصد تاريخية[57].

من الشعراء الذين أخذ عنهم أيضا الأديب عبد العزيز الملزوزي، في عدة مواضع منها مثلا: شعر يصف فيه الحرب الضارية بين الأمير المريني ويغمراسن، ويصفها لابن مالك، وآخر عن دخول الأمير يعقوب إلى مراكش، وهي أيضا تحمل أخبارا تاريخية[58] إضافة أنه يورد أشعارا للأمير أبو مالك عبد الواحد بن الأمير يعقوب[59].

كما أنه ذكر مصادر أخرى بروايات شفوية عن أحداث تاريخية، منها: رواية للشيخ أبو القاسم الشوطي، عن مقتل أبي دبوس[60]، ويذكر رواية أخرى للشيخ القاضي المبارك كما جاء : عبد الله بن الودون، عن لقاءٍ له في وفدٍ من فاس، ليُسلِّم على الأمير يعقوب بن عبد الحق بمجيئه من مراكش، قاصداً الأندلس[61].

رواية أخرى يذكرها، حيث يقول، " أخبرني الشيخ الفقية أبو العباس بن الجبر، وقد أدركته..."[62] ، عن دخول بني مرين المغرب، وتفرّق قبائلهم.

ويذكر أيضا مصدرين أخرين عند حديثه عن نسبه بني مرين الشريف، هما أبو علي المليانى، وإبراهيم الرازي[63].

وكان يسكت أحيانا عن مصاره، ولايُعيّنها، كقوله" قال الراوي "، أو قال " المؤرّخ " أو قال " صاحب التاريخ عفى الله عنه"، أو " قال المؤرّخ لأيامهم "[64].

4.الخاتمة

يعتبر الذخيرة السنية من المصادر المهمة التي تؤرخ للدولة المرينية في بداياتها، طبع بطابع مذهبي متعصب لدولته لا يدوّن جميع فتراتها التي عايشها بل انتقى مرحلة قوتها تفاخرا وتباهيا، تتبع أحداثها سنة سنة مُقسِّما إياها بفترات حكم حكامها، لم يلقى اهتماماً واسعاً من قِبل الباحثين، واكتفى من التفت إليه بضبط نسبة مؤلّفه إليه بعدما كان مجهولا، كان ابن أبي زرع المؤرّخ الوفي لدولة المرنيين ولحكّامها يُعدّد انتصاراتهم ويناصرها، وأبى إلا أن يؤرخ لحكامها إجلالاً لهم فلا يفضح زلاتهم.

5.الهوامش:

([1]) بالنثيا:المرجع السابق،ج1 ،ص251، وانظر أيضا سعيدوني: من التراث، ص158. و بشار قويدر:دراسات،ص167..

([2]) علي الجزنائي:المصدر السابق ، ص ص 8،24 .

([3]) حاجي خليفة: **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، تح، محمد شرف الدين يآلتقايآ،2ج، دار إحياء الثراث العربي،بيروت،ب.ت.ط، ج1،ص 119.

([4]) مصطفى ابوضيف أحمد بن عمر: **القبائل العربية في المغرب**، ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر، 1982، ص15.

([5]) إسماعيل بن الأحمر: **بيوتات فاس الكبرى**، دار منصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972،ص63.

([6]) ابن أبي زرع: المصدر السابق ، م م ، ص05.

([7]) إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص63.

([8]) ابن أبي زرع: المصدر السابق،م م ، ص07. وأنظر أيضا صالح بن قربة وأخرون: **تاريخ الجزائر في العصر الوسط من خلال المصادر** ،منشورات المتحف الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر ،الجزائر 2007، ص109 .

([9]) مجموع مؤلفين:**معلمة المغرب**، مطابع سلا،الجمعية المغربية للترجمة والتأليف والنشر، المغرب ،2001 ،ج 14 ص 91.

([10]) سعيدوني: من التراث ،ص 159، وانظر أيضا : بشار قويدر: دراسات، ص167-168.

([11]) إسماعيل ابن الأحمر: المصدر السابق،ص 63. وأنظر ايضا، ابن أبي زرع: المصدر السابق، م م ، ص 05

([12]) إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص63. وأنظر أيضا سعيدوني: من التراث، ص 158.

([13]) بالنثيا: المرجع السابق، ص 251، وانظر ايضا: عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب، ص 28.

([14])حاجي خليفة : المصدر السابق،ج1، ص 119، وانظر أيضا بالنثيا :المرجع السابق، ص 251، و عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب ص 28، والزركلي : المرجع السابق ،ج4، ص306.

([15])صالح بن قربة: المرجع السابق، ص 115.

([16])ابن أبي زرع: **الذخيرة السنية في محاسن الدولة المرينية**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،1972، ص 36-37.

([17])عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق ،ج7، ص 226.

([18])ابن أبي زرع: القرطاس، ص 289.

([19])ابن أبي زرع : الذخيرة، ص 36 ومابعدها ،وأنظر أيضا، صالح بن قربة: المرجع السابق، ص 110.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN : 1111-3707

([20]) أبي عبد الله محمد بن عيشون الشرّاط: **روض عطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، تح زهرة النظام منشورات كلية الآداب،ط1،الرباط ،1997، ص 13.

([21]) محمد التطواني: **الذخيرة السنية قسم مطول من روض القرطاس**، مجلة دعوة الحق، العدد التاسع السنة الرابعة عشرة شوال 1391هـ / نوفمبر 1971م .ص 158وما بعدها .

([22]) ابن ابي زرع: الذخيرة، م م، ص05، وأنظر أيضا، سعيدوني : من التراث، ص 159.

([23]) الزركلي، المرجع السابق، ج 4، ص 306.

([24]) نفسه، ج4، هامش ص 306، وأنظر أيضا، مصطفى أبو ضيف :المرجع السابق، ص 15.

([25]) ابن ابي زرع: الذخيرة، م م ، ص 6.

([26]) محمد التطواني: المرجع السابق، ص158-161.

([27]) ابن ابي زرع: القرطاس، ص297 وما بعدها، وأنظر أيضا، ابن ابي زرع: ذخيرة، ص85 وما بعدها

([28])نفسه، م م ص06.

([29]) ابن ابي زرع: الذخيرة، المصدر السابق، نفس الصفحة.

([30]) نفسه: م م ، ص 07.

([31]) نفسه:م م ، ص.09

([32]) نفسه ، ص 11.

([33]) ابن ابي زرع: ذخيرة ،ص 11-12.

([34]) نفسه: ص ص 19،26.

([35]) نفسه ،ص ص 19،26.

([36]) نفسه: ص ص 20،29.

([37]) ابن أبي زرع: ذخيرة ، ص ص 30،35

([38]) نفسه، ص ص53، 37

([39]) نفسه، ص ص 37-53،67،73-79

([40]) نفسه، ص ص 37-53

([41]) ابن أبي زرع: الذخيرة ، ص ص61 وما بعدها .

([42]) نفسه، ص ص 88 ، 111-115.

([43]) محمد التطواني: المرجع السابق، ص 157.

([44]) ابن أبي زرع: الذخيرة ، ص 13-14 .

([45]) نفسه: ص36.

([46]) ابن أبي زرع: ذخيرة: ص ص 61-63.

([47]) نفسه: ص ص76 ،111،161.

(48) نفسه: ص ص 140-143.

(49) نفسه : ص ص 152-156.

([50])نفسه: ص ص 157-158.

([51]) ابن ابي زرع: ذخيرة: ص 38وما بعد.

([52])نفسه: ص ص 101و89- 110-121.

([53]) نفسه :ص 35.

([54])نفسه: ص ص3534.

([55]) نفسه:ص 162.

([56]) ابن ابي زرع: ذخيرة، ص ص 15-98-100-119.

([57])نفسه : ص ص 112-114.

([58]) نفسه: ص ص 97-133-135. وانظر أيضا محمد التطواني: المرجع السابق، ص 157.

([59]) نفسه: ص ص 123-124.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN : 1111-3707

([60]) نفسه، ص ص 30.

([61]) نفسه، ص 30.

([62]) ابن أبي زرع: الذخيرة، ص 27.

([63]) نفسه، ص ص 14-15.

([64]) نفسه، ص ص 17-20-23-31-68-76-94-198.